قراءة في عمق تحضر الساحل الإفريقي واستغلال مواردها الطبيعية

مختار عبد الله ميغا
طالب دكتوراه: مكونة الجغرافيا
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة نواكشوط

ملخص

يعتبر الإنسان عالم مختلف تماما انفصل عن المنظومة البيئية منذ اكتشف تميزه عن بقية الكائنات الحية، واكتشف الوعي الكامن في كيانه وبدا باستخدامه وتوظيفه للخروج من اسر الطبيعة، ليصبح متمردا يقف في مواجهتها بشكل عدائي، رغبة في تطويعها، وتسخيرها لخدمته.

فبدا يصنع لنفسه بيئة أخرى من خلال عمليات الانتقال من مكانه الأصلي إليآخر وتزداد مع الزمن بعدا عن البيئة الطبيعية موظفا في ذلك ما توصل إليه من تقدم في العلوم والمعارف على مختلف الأصعدة ذلك ما نسميه التحضر.

فالطبيعة توفر للإنسان الموارد الأولية فقط وليس غير، فهي لا تطهو له طعاما ولا تعقم له مياها، ولا تزوده بوسيلة انتقال أسرع من الحصان، ولا تخيط له الملابس ولا تقيم له حفلات وهو في سياق انفصاله عن الطبيعة والابتعاد عن هيمنة إيقاعاتها، أسرف في التفريط والهدر لمواردها، وأسرف كذلك في إلحاقأضرار لا حصر لها بالمنظومة البيئية[1]

إن جميع الأنشطة التي نمارسها في حياتنا اليومية أفرادا ومجتمعات لها في النهاية المطاف مردودات على كمية الموارد الطبيعية المتوافرة وعلى جودتها في هذا الكوكب الزيادة السكانية والتوسع في التصنيع وزيادة الطلب على الموارد الخام، تسلط ضغوطا شديدا على هذه الموارد، وتسلط كذلك ضغوطا شديدة على الوضع البيئي[2].

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين وبعد، عرفت العديد من مدن العالم خلا القرنين الماضيين والقرن الحالي تحولات وتغيرات هامة مست مختلف جوانب

[1]مختار عبد الله، تسيير الموارد الطبيعية على الحدود الموريتانية المالية، ماستر في الجغرافيا، جامعة نواكشوط 2015- 2016، ص 81

[2]نفس المرجع السابق، ص 82

الحياة الاقتصادية، السياسية، الثقافية، والاجتماعية منها، وقد اهتم الباحثون وعلماء الاجتماع خصوصا فرع علم الاجتماع الحضري بدراسة هذه التحولات والتغيرات باعتبار أن المدينة وحدة اجتماعية تتقاطع داخلها كل الظواهر.

إشكالية البحث:

تتمحور الإشكالية أساسا هنا من يعيق عمليات التطور في البلدان الافريقية عموما ومنطقة الساحل الافريقي على وجه الخصوص؟

هي بلدان تتوفر على موارد هامة من شأنها أن تساهم في تغيير الواجهة لهذه المنطقة الصحراوية الجافة على مر العصور ومع ذلك مازالت عجلة النمو متوقفة لماذا؟ فمن المسؤول المباشر وغير مباشر؟

الفرضيات:

تفترض هذه الدراسة الحصول على اليات من شانها تغيير الأوضاع وانتزاع المشكلة من جذورها

تفترض هذه الدراسة ان كل مكون من مكونات المجتمع ذكرا كان او انثى يمكن ان يساهم في البناء والتطوير باعتبار ان التحضر مسؤولية الجميع.

أهمية الموضوع:

هذا الموضوع يستمد أهميته لأنه يدعو لخلق نوع من عامل جذب للمدن في منطقة الساحل من خلال استخدام موارد المنطقة في بناء الوطن،

وقد انصب اهتمام هذه الدراسة لكونها تركز على المدينة لاعتبارات تتعلق بالتوسع السريع الذي تمثل في الهجرة من الريف الى المناطق الحضرية.

ولهذا عمد هذا التقرير على تقسيم الدراسة ذات المنهجية الوصفية والتحليلية إلى ثلاثة محاور رئيسيةوهي:

المحور الأول: المفاهيم الأساسية للتحضروالخصائص التنموية في منطقة الساحل

المحور الثاني: التعريف بمنطقة الساحل والاماراتوالحدود الجغرافية واصل التسمية وكذلك التحولات الأمنية واشكاليات الحفاظ على المكاسب

المحور الثالث: مدخل إلى الموارد الطبيعية

ويسعى هذا التقرير إلى الإثباتأن التحضر مسألة مبدا وايمان راسخ في الذهن يتطلب الالتزام بسلوك نمط حياة معين الرامي الى التغيير الجاد والانتقال من مكان إلى مكان آخر.

المحور الأول: المفاهيم الأساسية للتحضرومدخل إلى الدولالساحل الإفريقي

مفهوم التحضر:

تشير كلمة التمدن أو التحضر إلى التحول السكاني من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية والزيادة التدريجية في نسبة السكان القاطنين في المناطق الحضرية،

والوسائل التي تتكيف بها كل مجتمع مع هذا التغيير، وهي العملية التي يغلب عليها طابع تشكيل المدن والبلدات وغدوها أكبر حجما جراء بدئ المزيد من أشخاص في العيش في المناطق المركزية والعمل فيها رغم استخدام المفهومين أحيانا بالترادف.

ورد في لسان العرب المحيط أن لفظ حضر من الحضور نقيض المغيب، والحضر خلاف البدوي، ويشتق من الحضر "الحاضر" أي المقيم سواء في المدن أو القرى في مقابل "البادي" أي القيم في البادية.

والتحضر كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينيةUrbasوهي مصطلح كان الرومان يستخدمونه قديما للدلالة على المدينة، وخاصة مدينة روما، أما دائرة المعارف البريطانية فقد حددت مصطلح التحضر باعتباره العملية التي يتركز خلالها السكان في المدن أو المناطق الحضرية، تتم هذه العملية بطريقتين متباينتين هما:

من خلال زيادة عدد المدن أو الأوساط الحضرية.

من خلال زيادة عدد حجم السكان المقيمين في المناطق الحضرية.

ويعرف التحضر بالعملية التي يم بموجبها إعادة توزيع السكان نتيجة الانتقال الكلي للمجتمع من الأنشطة الأولية إلى الأنشطة الثانوية وما يترتب عن هذا الانتقال من آثار اقتصادية واجتماعية وثقافية، وعملية التحضر مرتبطة أو ملتصقة دوما بعملية التصنيع، فيها عمليتان مستقلتان عن بعضهما البعض فقد نجده في بعض البلدان ولكن لا يوجد بها تصنيع، وقد ظهرت المدن قديما في أوروبا قبل قيام الثورة الصناعية.

وقد حدد جولدن تشايلدن مظاهر التحضر المبكرة في سبعة عناصر هي:

1 ــ الإقامة الدائمة في تجمعات سكنية كثيفة.

2 ــ السكن في المباني ضخمة.

3 ــ العمل في مهن غير الزراعة.

4 ــ فرض الضرائب وتراكم رؤوس الاموال.

5 ــ تطور فنون الكتابة والحساب والهندسة والفلك.

6 ــ ظهور طبقة حاكمة مسيطرة.

7 ــ اكتساب القدرة على التعبير الفنية.

8 ــ نمو التجارة.

أما لويس ورث لا يرى انه يوجد نمط واحد للتحضر، إنما للتحضر سمات تختلف من مدينة لأخرى، وأن تطور المدينة ليس تطورا مفاجئا إنما هو تطور تراكمي تدريجي. وقد حدد ثلاثة خصائص للمدينة هي:

1ــ تزايد عدد السكان.

2ــ الكثافة السكانية العالية

3ــ عدم التجانس بين سكان المدينة.[1]

التحضر في منطقة الساحل:

يمكن القول إن دول الساحل تختلف فيما بينها نسبيا فمثلا في موريتانيا تسمى مدن الصفيحبالكزرات سكانها يستخدمون أسماء جميلة لتخفيف الفقر وانتظار وتشريع أحيائهم مع التجاهل من الإدارة العامة المحلية مثل الانتظار" والحي الساكن" لتعزيز الامل ورفع معنوياتهم في ظروفهم الصعبة.

المحور الثاني: على التعريف بمنطقة الساحل والإمارات والحدود الجغرافية واصل التسمية

الساحل بشكل عام هو الساحل أو شاطئ البحر ويقصد به المنطقة التي تتلقي فيها الأرض ببحر أو محيط أو الخط الذي يشكل الحدود بين اليابسة ومحيط أو بحيرة.

لا يمكن تحديد خط دقيق يمكن تسميته بخط الساحل بسبب وجود مفارقات مصطلح منطقة ساحلية، والذي يشير إلى المنطقة التي يحدث فيها تفاعل العمليات بين البحر والبر.

أما الساحل الذي يدور محور الدراسة حوله فهو مفهوم بيئي ومناخي بالامتياز حيث هو منطقة شبه قاحلة في غرب وشمال وسط افريقيا تمتد من السنغال شرقا إلىالسودان. تشكل منطقة انتقالية بين الصحراء القاحلة شمالا وحزام الصحراء الرطبة.

[1]بسام أبو عليان، محاضرة بقسم علم الاجتماع، جامعة الأقصى

تعريف منقطة الساحل:

منقطة الساحل حزام جغرافي يمتد على طول الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى ويمتد عبر عدد من الدول الإفريقية من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر في الشرق وهي منقطة انتقالية جغرافية، حيث تقع بين المناطق الصحراوية في الشمال والمناطق الاستوائية أو شبه الاستوائية. وتعد منطقة الساحل واحدة من أكثر المناطق تنوعا واستراتيجيا في القارة الإفريقية.

1 ــ الإمارات في الساحل:

ضمت منطقة الساحل الإمبراطوريات الإسلامية وقد دمرتها حملات الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر، وكذلك إمبراطورية غانا التي ظهرت في القرن الثالث أو الرابع الميلادي ومملكة مالي في منتصف القرن السابع الهجري 13 ميلادي، وإمبراطوريةسونغاي في القرن الحادي عشر في محافظة غاو.

أولاً: الساحل الإفريقي في عصور ما قبل التاريخ وبدايات الاستقرار

تشير الأدلة الأركيولوجية إلى أن المجال الساحلي لم يكن دائماً بيئة شبه جافة كما هو اليوم، بل عرف خلال الفترات المطيرة في العصر الهلنستي انتشاراً أوسع للمياه والغطاء النباتي، مما أتاح قيام تجمعات بشرية رعوية وزراعية مبكرة.[1]

ومع تزايد الجفاف التدريجي منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد، تحولت أنماط العيش نحو الرعي المتنقل والانتشار حول الواحات ومجاري الأودية الموسمية[2].

وقد أسهم هذا التحول البيئي في نشوء شبكات تنقل وتبادل مبكرة مهّدت لاحقاً لطرق التجارة العابرة للصحراء، التي ستصبح العنصر الحاسم في تاريخ الساحل الاقتصادي والحضاري[3].

ثانياً: طرق التجارة العابرة للصحراء ودورها في تشكّل المجال الحضري

ابتداءً من الألفية الأولى للميلاد، تطورت طرق القوافل التي ربطت شمال إفريقيا المتوسطي ببلدان السودان الغربي عبر الصحراء الكبرى، ناقلةً الذهب والملح والعاج والعبيد مقابل السلع المتوسطية والمعرفة الدينية والثقافية[4].وقد أدّى هذا التبادل إلى:

نشوء مراكز حضرية تجارية على الحافة الجنوبية للصحراء.

---

[1] Mclntosh, S, (2005), Ancient Middle Niger, pp, 42.

[2] المصدر نفسه، ص: 57

[3] Bovill, E (1995). The Golden trade of the Moors, p. 23

[4] Levtzion, N., & Hopkins, J (2000). Corpus of Early Arabic Sources, p. 11

انتشار الإسلام واللغة العربية وأنماط التنظيم السياسي الجديدة في الساحل.[1]

ومن أبرز هذه المدن التاريخية: تمبكتو، وجني، وغاو، وولاتة، التي شكّلت عقداً رئيسية في شبكة التجارة والثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا.[2]

ثالثاً: الممالك والإمبراطوريات الساحلية الكبرى

1. إمبراطورية غانا (القرنان 8–11م)

تُعد غانا أول كيان سياسي كبير في الساحل الغربي، وقد سيطرت على تجارة الذهب عبر الصحراء، مما وفّر لها ثروة ونفوذاً إقليمياً واسعاً.[3]ورغم تراجعها في القرن الحادي عشر، فإنها أرست الأسس الاقتصادية–التجارية التي ستبني عليها الإمبراطوريات اللاحقة.[4]

2. إمبراطورية مالي (القرنان 13–15م)

بلغ الساحل ذروة ازدهاره مع قيام إمبراطورية مالي، خاصة في عهد منسا موسى، حيث تحولت تمبكتو إلى مركز علمي وتجاري عالمي يضم مدارس ومكتبات ومؤسسات دينية مزدهرة.[5]

وقد عزز الحج الشهير لمنسا موسى إلى مكة مكانة الإمبراطورية في العالم الإسلامي ووسّع شبكاتها الاقتصادية والثقافية.[6]

3. إمبراطورية سونغاي(القرنان 15–16م)

ورثت سونغاي المجال السياسي والتجاري لمالي، واتخذت من غاو عاصمةً لها، وبلغت أقصى اتساعها في عهد أسكيا محمد قبل سقوطها بعد الغزو المغربي سنة 1591م.[7]

ويمثل انهيارها نقطة تحول نحو تفكك سياسي وهيمنة شبكات محلية أصغر في الساحل.[8]

رابعاً: الساحل في العصور الحديثة والاستعمار الأوروبي

ابتداءً من القرن التاسع عشر، خضع الساحل للتوسع الاستعماري الأوروبي، خاصة الفرنسي، الذي أعاد تشكيل الحدود السياسية والاقتصادية للإقليم وفق المصالح الاستعمارية.[9]

ومن نتائج المرحلة الاستعمارية:

دمج اقتصاد الساحل في النظام الرأسمالي العالمي كمصدر للمواد الأولية.

---

[1]Insoll, T. (2003). The Archaeolgy of Islam in Sub-Saharan Africa, p. 76

[2] Conrad, D, (1994). Empires of Medieval West Africa, p. 34

[3]نفس المصدر، ص: 41

[4]Hunwick, j. (1999). Timbuktu and the Songhay Empire, p. 15.

[5]نفس المصدر، ص: 28

[6]Hunwick, (1999). P. 102

[7]Hunwick, (1999). P. 102

[8]Conrad, 1994, p. 97

[9]Suret-Canal, J. (1971)French Colonialism in Tropical Africa, p. 205.

إضعاف البنى التجارية التقليدية العابرة للصحراء.

رسم حدود سياسية ما زالت تؤثر في عدم الاستقرار الإقليمي حتى اليوم.[1]

ومع الاستقلال في ستينيات القرن العشرين، واجهت دول الساحل تحديات بناء الدولة والتنمية في بيئة طبيعية هشّة ومتقلبة مناخياً.[2]

خامساً: التحولات التاريخية المعاصرة

شهد الساحل منذ أواخر القرن العشرين تحولات عميقة تمثلت في:

موجات الجفاف والتصحر وتأثيرها على الاقتصاد الريفي.

تزايد الهجرة الداخلية والخارجية.

تصاعد التوترات الأمنية والصراعات المسلحة في بعض مناطقه.

وترتبط هذه التحولات بعوامل تاريخية متراكمة تشمل الإرث الاستعماري، والهشاشة البيئية، وضعف التنمية الاقتصادية، مما يجعل فهم التاريخ شرطاً أساسياً لتحليل واقع الساحل الراهن. [3]

2 ــ التسمية:

تعود هذه التسمية حسب المتداول إلى تاريخ قديم قبل مئات السنين حيث تشير الروايات إلى هذه الأراضي أطلقواعليها تسمية الساحل كدلالة على ساحل الصحراء وليس ساحل البحر، حيث تبدأ جغرافية منطقة الساحل الإفريقي من الشمال مع نهاية جغرافية الصحراء الكبرى وتتوغل جنوبا حتى بداية كمنطقة سفانا العشبية الخضراء. وبالتالي منطقة الساحل الإفريقي هي الفاصلة بين الصحراء الكبرى في الشمال وأراضي السافانا في الجنوب.

3 ــ جغرافية الساحل:

يمتد الساحل على 5900 كيلومتر {3670ميل} من المحيط الأطلسي في الغرب إلى البحر الأحمر في الشرق، في حزام يتراوح عرضه من مئات إلىألف كيلو متر {حوالي 600 ميل}، ويغطي مساحة 3.53.200 كيلومتر مربع 1.178.850 ميل} وهي منطقة بيئية الأراضي العشبية شبه قاحلة والسافانا والسهول والشجيرات الشائكة الواقعة بين السافانا السودانية المشجرة في الجنوب والصحراء الكبرى في الشمال.

---

[1] نفس المصدر، ص: 233

[2] Cooper, F. (2009). Africa, Since 1940. P. 78

[3] Motimore, M. (2009). Dryland Opportunities, p. 134

وتتضمن دول الساحل الإفريقيوالصحراء عددا من الدول مالي وموريتانيا وبوركينافاسو والنيجر وتشاد وجنوب السودان واريتريا ونيجيريا وأفريقيا الوسطى والكاميرون وغينيا وأثيوبيا.

3 ــ التضاريس:

منطقة الساحل منبسطة في الغالب، تقع معظم المنطقة بين 200 و400 متر {660 و1.310قدم} في الارتفاع توجد العديد من الهضاب والسلاسل الجبلية المعزولة في منطقة الساحل، ولكن يتم تصنيفها على أنها مناطق بيئية منفصلة لأن نباتاتها وحيواناتها تختلف عن الأراضي المنخفضة المحيطة.

أما التساقطات المطرية فإنها تتراوح بين 500 و800 ملم سنويا جنوبا، أما في الشمال فتتراوح ما بين 100 و200 ملم سنويا.[1]

وهناك نوعين من دول الساحل الافريقي حسب التقسيم الجغرافي إلى:

1 – دول الساحل العمق الجغرافي:

جمهورية مالي:

تعتبر دولة مالي من الدول العمق في الساحل الافريقي نظرالموقعهاالاستراتيجيوهي لا تتوفر على منفذ بحري ومساحتها 1.241231 كلم مربعاوعدد سكانها حسب تعداد 2022 هو 24.478595 مليون نسمة.

ونجد إقليم الشمال الذي يحتوي على كيدال غاو وتمبكتو وإقليم الوسط حيث توجد مناطق موبتيسيغووكوليكورو وإقليم الجنوب الحيوي المشتهر بالزراعة ويضم العاصمة بماكو سيكاسو إضافة إلى منطقة كايس.

تمتلك مالي واحدا من أكبر مناجم الذهب في إفريقيا مثل منجم ساديولاوموردیلا وتعد صناعة الذهب أحد أهم قطاعات الاقتصاد المالي حيث تشكل حوالي 70% من إجمالي صادرات البلاد. تعتمد مالي على الشركات الدولية لاستخراج الذهب ولكن أيضا توجد عمليات تعدين صغيرة يقوم بها السكان المحليون.[2]

---

[1] مادة البحث، صفحة الساحل {إفريقيا}GeoNamesID

[2] – رجال بوبريك، الجماعات الجهادية ببلاد الساحل بين الولاء الإيديولوجي والانتماء الإثني 2022، ص: 138-151.

2 – دول الحواف الساحلي:

الجمهورية الإسلامية الموريتانية:

تقع موريتانيا غرب إفريقيا ومساحتها1030700 كلم^{2}بتعداد سكاني يبلغ 4.927.532 مليون نسمة حسب تعداد 2023م[1]. كما تعد هذه الدولة جزءا مهما من الصحراء الكبرى وتحمل جزءا كبيرا من الحدود مع دولة مالي والصحراء الغربية، وأهم مواردها الحديد والثروة السمكية ومؤخرا تمت اكتشافات مهمة في المخزون النفطي. مما انعكس على المنظومة الإنتاجية بشكل عام وعلى خلق فرص العمل بشكل خاص وعلى الرغم من امتلاك موارد طبيعية كبيرة إلاأن استغلال الموارد لايزال دون المستوى بكثير بفعل نقص الموارد البشرية المؤهلة.

فموريتانيا رسميا(الجمهورية الإسلامية الموريتانية)، هي دولة ذات سيادة تقع في شمال غرب أفريقيا، يحدها المحيط الأطلسي من الغرب الصحراء الغربيةمن الشمال والشمال الغربي، والجزائر من الشمال الشرقي، ومالي من الشرق والجنوب الشرقي، والسنغال من الجنوب الغربي. تحتل موريتانيا من حيث المساحة المرتبة الحادية عشرة في أفريقيا والثامنة والعشرين في العالم، وتقع 90٪ من أراضيها في الصحراء. يعيش معظم سكانها في المناطق المعتدلة جنوب البلاد، ويتركز ثلثهم تقريباً في العاصمة وأكبر مدنها نواكشوط الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي[2].

دول الساحل العمق الجغرافي:

جمهورية نيجر:

تقع النيجر في وسط إفريقيا ويحدها من الجنوب نيجيريا وبنين ومن الغرب بوركينا فاسو ومالي ومن الشمال كلاً من الجزائر وليبيا، فيما تحدها تشاد من جهة الشرق. يبلغ إجمالي مساحة النيجر حوالي 1,270,000 كم^2، مما يجعلها أكبر الدول في منطقة غرب أفريقيا من حيث المساحة، كما يبلغ إجمالي عدد السكان قرابة 25,370,000 نسمة في 2023. يتركز معظمهم في أقصى جنوب وغرب البلاد. وعاصمتها هي مدينة نيامي وهي أكبر مدن النيجر التي تقع أغلبها على الضفة الشرقية لنهر النيجر في الجزء الجنوبي الغربي من البلاد. تعد نيجر أحد أفقر دول

[1]– مصدر: الوكالة الوطنية للإحصاء والتحليل الديموغرافي والاقتصادي في موريتانيا 2023، ص 2.

[2]-نسخة محفوظة الوكالة الموريتانية للأنباء،25 أكتوبر 2017. على موقع واي باك مشين

العالم وأقلها نموا على الاطلاق إذ تغطي الصحراء الكبرى ما يقارب من 80 بالمائة من اجمالي مساحة البلاد في حين تتهدد الأجزاء الباقية مشكلات مناخية أخرى مثل الجفاف والتصحر.

ويعتمد اقتصاد البلاد بشكل شبه كلي على تصدير بعض المنتجات الزراعية والتي تتركز في الجزء الجنوبي الخصب من البلاد.

تعتبر هي أيضا من دول العمق الساحلي باعتبارها دولة غير ساحلية وهي البلدان الأقل نموا وبلدان العجز الغذائي المنخفضة الدخل، بالرغم مما تحتويه من ثروات باطنية غير مستغلة مثل اليورانيوم والفحم والحديد إلا أنها تصنف كأفقر دولة منخفضة الدخل.يتشكل سكانها من أغلبية مسلمة وهو ما جعلها تنخرط لمنظمة المؤتمر العالم الإسلامي.[1]

إذن النيجر هي سابع أكبر منتج لليورانيوم في العالم يتم استخراجه بشكل رئيسي من مناجم "أوليت" و"ايمورارين" التي تديرها شركات دولية مثل شركة أورانو الفرنسية (Corano) يسهم اليورانيوم في جزء كبير من إيرادات البلاد ولكنه يثير أيضا جدلا حول الاستغلال البيئي والاجتماعي.

التنمية في منطقة الساحل الافريقي:

وإذا دققنا النظر في منطقة الساحل نجد أن البعد الجغرافي لعب دورا كثيرا في أهميته المنطقة كونها تمثل منطقة إلتقاء بالنسبة لمجموعة من العوالم الحضارية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية وحتى السياسية وخط فاصل بين أفريقيا السوداء والبيضاء وبين الحضارة الإسلامية الأفريقية. وبالتالي يمكن القول بأن الساحل الأفريقي نقطة إلتقاء الحضارات الإنسانية والانتماءات العرقية والدينية، حيث تمثل شريطا استراتيجيايربط بين أمريكا اللاتينية والقارة الآسيوية عبر البحر الأحمر والخليج العربي فبالحسابات الجغرافية تعتبر مطقة الساحل الأفريقي من أهم الروابط الجغرافية والاقتصادية.[2]

---

[1] *"Population du Niger". National of Statistique (INS) (fr-FR). 18 Jun 2020. Archivedfrom the original on 2012. PP. 06-30.*

2د. قلاع الضروس سمير، منطقة الساحل الأفريقي وأهميتها الاستراتيجية في أفريقيا، دراسة جيوسياسية، المجلد 06، العدد 02، تاريخ النشر (2020)

المحور الثالث: مدخل الى الموارد الطبيعية في منقطة الساحل(المفاهيموالاستخدامات)

ــ أولا: مفهوم الموارد الطبيعية:

الموارد مفهوم واسع للغاية ويمكن تعريفها علـــى أنهاتســـاهم فـــي قيمـــة المجتمـــع والحيـــاة، لذلك يمكن اعتبارها مثل الماء والغذاء والحيوانات والنباتات والمعادن وغيرها.

تختلف قيمة كل مورد من الموارد وفقا لمســـاهمته فـــي الخضـــارة البشـــرية، لـــذلك يمكننـــا تقسيم الموارد بشكل أساسي إلى قسمين هما:

ــ الموارد الطبيعية

ــ الموارد البشرية

هناك اختلاف بين هذين النوعين فالموارد الطبيعية هي جـــزء مـــن العـــالم العضـــوي، فهـــي الأشياء الموجودة في البيئة التي لم يصنعها الانســـان والتـــي نســـتخدمها بشـــكل يـــومي فـــي حين أن الموارد البشرية عبـــارة عـــن الأفـــراد والأشـــخاص والأشـــياء التـــي تكـــون مـــن الإنسان، ويمكن أن تشير إلى القدرات والمواهب والوظائف البشرية.

والموارد الطبيعة هي كل مـــا تـــوفره الطبيعـــة مـــن مخزونـــات طبيعيـــة يســـتلزمها بقـــاء الإنسان أو يستخدمها لبناء حضارته تتراجع المـــوارد الطبيعيـــة نتيجـــة الاســـتغلال المفـــرط وهي تتمثل الطاقة وعلى رأسها النفط والمعادن كالفوســـفات والحديـــد الخـــام وهـــي متـــوفرة في موريتانيا ...

ومجموعة من الموارد الطبيعية الحية تتضـــمن كـــلا مـــن النباتـــات الطبيعيـــة مـــن غابـــات وحشائش ونباتـــات صـــحراوية والحيوانـــات البريـــة ســـواء آكلـــة العشـــب {مثـــل الغـــزال والزرافة وغيرها} أو آكلة اللحوم {مثـــل الأســـود والـــذئاب وغيرهـــا} كمـــا تتضـــمن هـــذه المجموعة الأحياء المائية {النباتيةوالحيوانية} مثـــل الطحالـــب والأســـماك والمحـــار وتنقســـم الطبيعية إلى:

1 ــ **موارد غير متجددة:** تتضمن الموارد الموجودة فـــي البيئـــة علـــى هيئـــة رصـــيد ثابـــت وما يؤخذ منه لا يعوض ومن ثم فهـــي مـــوارد معرضـــة لخطـــر النضـــوب والنفـــاذ مثـــل الفحم والنفط والغاز الطبيعي والمعادن المشعة.

2 ــ **موارد متجددة:** تتضمن الموارد التـــي تجـــدد ذاتيـــا مجموعـــة مـــن مختلـــف مصـــادر الطاقة فمن أمثلتها المصادر النباتيـــة والحيوانيـــة وهـــي مـــوارد لا تتعـــرض للنضـــوب إذا استغلها الإنسان بأسلوب معتدل راشد بعيدا عن الإسراف.

تعد منقطة الساحل الأفريقي واحدة من أكبر المناطق التي تواجه تحديات كبيرة فيما يتعلق بإدارة واستغلال الموارد الطبيعية ومن أبرز هذه الموارد مصادر المياه وتشمل هذه المصادر الأنهار الرئيسية مثل نهر النيجر.

نهر النيجر:

وسماه العرب قديما **نيل السودان** و«نهر الأنهُر» هو النهر الرئيسي في غرب أفريقيا وطوله 4180 كم ويمر عبر غينيا ومالي والنيجر وبنين ونيجيريا ليصب في دلتا النيجر في خليج غينيا على المحيط الأطلسي.ويرجح أن أصل الاسم من لغة الطوارق الذين يسمونه «إجرو**نيجر**ون» بكسر الجيم الراء والواو في الكلمة الأخيرة، ويلقب في مختلف لغات المنطقة بما يعني «النهر الكبير» أو «نهر الأنهار» واتجاهه من الغرب إلى الشرق مرورا بمدن عديدة ابتداء بمنطقة في دولة غينيا ثم باماكو عاصمة مالي وجينيه وتمبكتو وغاو ونيامي عاصمة النيجر ومالاذ فيل على حدود بنين ثم يخترق نيجيريا مرورا بمدن لوكوجا وأونيتشا حتى مصبه في بورت هاركورت و قد كان المكتشف الاسكتلندي مونجو بارك أول أوروبي يكتشف مجرى نهر النيجر[1].

نهر السنغال:

هو نهر يجري في أقصى غرب قارة أفريقيا، وهو يحتل مرتبة مميزة في قائمة أطول الأنهار الأفريقية وأشهرها وكان يعرف قديما عند المؤرخين العرب والمسلمين بنهر صنهاجة.

يمتد حوض النهر الذي ينبع من هضبة فوته جالوفي غينيا عبر 4 دول أفريقية، وهي بالترتيب غينيا، مالي، السنغال وموريتانيا ثم يصب في نهاية رحلته بالقرب من مدينة سانت لويس في المحيط الأطلسي قاطعا خلالها مسافة تقدر بحوالي 1790 كيلومتر، وهي مقدار الطول الإجمالي للنهر، بينما تبلغ مساحة حوضه حوالي 340 ألف كيلومتر مربع.

تعد موريتانيا والسنغال الدولتين الأكثر اعتمادا على مياه النهر، حيث أتاح لهما إمكانية زراعة محصولين في السنة، هذا فضلا على المراعي الطبيعية التي نمت على ضفاف

[1] الجزيرة نت نسخة محفوظة 2016/04 على موقع /واي باك مشين مالي.. الوجه الآخر لأفريقيا ــ

النهر الموجودة في كلتا الدولتين التي ساعدت على ازدهار حرفة الرعي في هذه المناطق.

يشكل النهر حدودا طبيعية بين الدولتين، ومع ذلك لا يعد حاجزا بينهما بل مثل لهما وعلى مر التاريخ نقطة إلتقاء في كثير من نواحي الحياة، فالسكان القاطنون على ضفتي النهر في كلا البلدين ينتمون لأجناس عربية وزنجية تتلاقى بشكل كثيف، بل وأحيانا تشكل نفس العائلات التي انشطرت إلى نصفين أحدهما موريتاني والآخر سنغالي، هذا بالإضافة لتشابه أنماط وأساليب الإنتاج بين الجماعات القاطنة ضفاف النهر، فنجدهم يزرعون نفس المحاصيل، ويمارسون نفس الحرف والأنشطة الاقتصادية، ويعد النهر الوحيد الذي يجري في الأراضي الموريتانية[1].

الأمطار الموسمية:

تلعب الأمطار الموسمية دورا كبيرا في توفير المياه في منطقة الساحل وخاصة في المناطق التي تعتمد على الأنهار الرئيسية.

تأثيرات الأمطار على الزراعة:

وفي المناطق غير المتصلة بنهر النيجر تعتمد الزراعة بشكل كامل على الأمطار الموسمية وهذا أمر يعد تحديا كبيرا نظرا لتقلبات المناخ.

تأثير التغير المناخي:

خلال العقود الأخيرة شهدت منقطة الساحل تغيرات كبيرة في أنماط هطول الأمطار حيث أصبحت الأمطار أقل انتظاما ما زاد من صعوبة التنبؤ الفصول الزراعية هذا التغير أثر على القدرة الإنتاجية للأراضي الزراعية ما جعل الأمن الغذائي في المنقطة قضية هامة للغاية.

التحديات المتعلقة بمصادر المياه في الساحل:

تعاني منقطة الساحل من نقص حاد في الموارد المائية الصالحة للشرب والاستخدامات الزراعية بسبب التغيرات المناخية والجفاف المستمر.

[1] مؤرشف من الأصل في2019/12 "/Nd infoمعلومات عن نهر السنغال على موقع

تدهور البيئة المائية:

تساهم الأنشطة غير المستدامة مثل الزراعة المكثفة والوعي الجائر والتعدين غير المنتظم في تدهور البيئة المحيطة بمصادر المياه حيث يزيد من تلوث الأنهار والمياه الجوفية[1]

إدارة المياه والتعاون الإقليمي:

نظرا لأن نهر النيجر يمر عبر عدة دول فإن إدارة مياهه تحتاج تعاونا إقليميا قويا بين الدول الشاطئية، وقد تم إنشاء هيئات إقليمية مثل هيئة حوض نهر النيجر لتعزيز التعاون بين الدول من أجل الاستخدام لمياه النهر ومنع النزاعات المتعلقة بتقاسم الموارد المائية[2].

الموارد المعدنية في منطقة الساحل:

تعد منطقة الساحل الأفريقي من أغنى المناطق بالموارد المعدنية التي تساهم بشكل كبير في اقتصاديات الدول الساحلية مثل مالي وموريتانيا بوركينافاسو والنيجر وتشاد، ويمكن تلخيص هذه الموارد المعدنية على النحو التالي:

الذهب:

يعتبر الذهب من أهم الموارد المعدنية في دول الساحل وخاصة من دول مثل مالي وبوركينافاسو تساهم عمليات استخراج الذهب بشكل رئيسي في اقتصاديات هذه الدول حيث تعد مالي ثالث أكبر منتج للذهب في إفريقيا بعد جنوب إفريقيا وغانا.

اليورانيوم:

تعد النيجر واحدة من أكبر منتج اليورانيوم في العالم، حيث تحتل مكانة هامة في توريد هذه المادة الحيوية المستخدمة في إنتاج الطاقة النووية، ويمنح النيجر أهمية استراتيجية في السوق العالمية.

---

[1]– مزارة زهرة، الاستراتيجية الأمنية للدول الإقليمية تجاه منطقة الساحل الأفريقي، دكتوراه 2018، ص 244، وجلال محمود عبدي أو أحمد، الأبعاد السياسية للمنظمات الإرهابية في أفريقيا، 2024، ص242.

[2]– سعد حداد صوفيا، الأمن الأوروبي في إقليم الصحراء الكبرى، دكتوراه، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، سنة 2016، ص 245.

1. الاعتماد على الموارد المعدنية

أ **.المعادن الأساسية:** يُعتبر الذهب من أهم الموارد المعدنية في المنطقة في مالي، حيث يُعد المصدر الرئيسي للإيرادات، وساهم في حوالي 25% من الناتج المحلي الإجمالي (GDP) لعام 2021. مالي هي ثالث أكبر منتج للذهب في إفريقيا بعد جنوب إفريقيا وغانا[1].

أ-النمو الاقتصادي في الساحل:

يساهم الاعتماد على الموارد المعدنية والزراعية في تعزيز النمو الاقتصادي، ولكنه يجعل الاقتصاديات عرضة للصدمات الخارجية. على سبيل المثال، في حال انخفاض أسعار المعادن أو المحاصيل الزراعية، يمكن أن يؤدي ذلك إلى تقلبات اقتصادية كبيرة.

ب- الفقر والبطالة:

يُعاني العديد من السكان في هذه الدول من الفقر، حيث إن الاعتماد على الموارد الأساسية قد لا يضمن وظائف مستقرة. غالبًا ما تكون فرص العمل في الزراعة غير كافية لتلبية احتياجات السكان المتزايدة، مما يؤدي إلى ارتفاع معدلات البطالة والفقر.

ب – التنمية المستدامة:

يحتاج الوضع إلى تغيير جذري لتحقيق التنمية المستدامة. يجب على حكومات هذه الدول العمل على تطوير استراتيجيات للتنمية المستدامة، تشمل تنويع الاقتصاد وتحسين إدارة الموارد الطبيعية.

تعتمد الاقتصاديات الوطنية في دول الساحل (مالي، موريتانيا، بوركينا فاسو، النيجر، تشاد) بشكل كبير على الموارد المعدنية والزراعية، مما يساهم في النمو الاقتصادي ولكنه أيضًا يعرضها لتحديات كبيرة. يتطلب الأمر جهودًا مستمرة لضمان الاستدامة وتجنب الأزمات الاقتصادية الناجمة عن الاعتماد المفرط على هذه الموارد.

ج – حضارة الساحل:

تقليديا، كان معظم الناس في منطقة الساحل شبه بدو رحل، يربون الماشية بنظام الترحال، وربما تكون تلك الطريقة الأكثر استدامة في منطقة الساحل. يتم الانتفاع بالفرق بين الشمال الجاف الذي يحتوي على مستويات أعلى من مغذيات التربة

[1] Thomas Pierre and Decroix, Christophe. "G5 Sahel: Outcome of Operation Barkhane." RTL, Feb 16, 2021.

والجنوب الأكثر رطوبة مع المزيد من الغطاء النباتي، من خلال جعل القطعان ترعى على أعلاف عالية الجودة في الشمال خلال موسم الأمطار، والقيام برحلات لعدة مئات من الكيلومترات إلى الجنوب للرعي على علف أكثر وفرة ولكن أقل تغذية خلال فترة الجفاف[1].

د – دينامية العلاقة بين الساحل والصحراء

لا يمثل الحد بين الساحل والصحراء خطاً ثابتا بل نطاقا انتقاليا متحركا يتقدم جنوبا خلال فترات الجفاف ويتراجع خلال الفترات الرطبة. وقد أظهرت صور الأقمار الصناعية تغيرات ملحوظة في الغطاء النباتي بالساحل خلال العقود الأخيرة، ما يعكس تعقيد التفاعلات المناخية في المنطقة[2].

ترتبط هذه الدينامكية بتغيرات واسعة النطاق في النظام المناخي الأفريقي، وهو ما يجعل الساحل مجالا أساسيا لدراسات التغير المناخي العالمية[3]

قائمة المراجع العربية:

1- مختار عبد الله / تسيير الموارد الطبيعية على الحدود الموريتانية المالية، ماستر في الجغرافيا، جامعة نواكشوط2015 ــ 2016

2- بسام أبو عليان، محاضر بقسم علم الاجتماع، جامعة الأقصى

3- د. قلاع الضروس سمير، منطقة الساحل الإفريقيوأهميتهاالإستراتيجية في إفريقيا، دراسة جيوسياسية، المجلد 06، العدد 02، تاريخ النشر (2020)

4- مزارة زهرة الإستراتيجية الأمنية للدول الإقليمية تجاه منطقة الساحل الإفريقي، دكتوراه 2018

5- جلال محمود عبدي أو أحمد، الأبعاد السياسية للمنظمات الإرهابية في إفريقيا، 2024

6- سعد حداد صوفيا، الأمن الأوروبي في إقليم الصحراء الكبرى، دكتوراه، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، سنة 2016

7- رجال بوبريك، الجماعات الجهادية ببلاد الساحل بين الولاء الإيديولوجي والانتماء الاثني2022

[1] *"UNICEF West and Central Africa". www.unicef.org. مؤرشف من الأصل في 2021-11-02*

[2] NASA Earth Observatory. (2007). Vagetation and Rainfall in the Sahel.

[3] IPCC 2022, p. 1290

8- محمد قطب، التطور والثبات في حياة البشـــرية، الطبعـــة السادســـة، دار النشـــر، 1986

المراجع الأجنبة

9- Thomas Pierre and Decroix, Christophe. "G5 Sahel:Outcome of Operation Barkhane." RTL, Feb 16, 2021
10- Gatanazi, Etienne. "Le narcoterrorisme, une nouvelle source de déstabilisation en Afrique de l'Ouest?" Deutsche Welle, March 2, 2022.
11- Revue africaine des sciences humaines et sociales ،(3)2022
12- "Population du Niger". *National of Statistique (INS) (fr-FR). 2020. Archived from* the original *on 2012-*
13- "UNICEF West and Central Africa". *www.unicef.org. 2021.*
14- Bovill, E. (1995). The Golden Trade of the Moors. Markus Wiener
15- Brooks, N. (2006). Cultural responses to aridity
16- Conrad, D. (1994). Empires of Medieval West Africa
17- Cooper, F. (2002). Africa Since 1940. Cambridge University Press
18- Hunwick, J. (1999). Timbuktu and the Songhay Empire. Brill
19- Insoll, T. (2003). The Archaeology of Islam in Sub-Saharan Africa
20- Levtzion, N., & Hopkins, J. (2000). Corpus of Early Arabic Sources
21- McIntosh, S. (2005). Ancient Middle Niger
22- Mortimore, M. (2009). Dryland Opportunities
23- Suret-Canale, J. (1971). French Colonialism in Tropical Africa
24- IPCC. (2022). Climate Change 2022 – Africa